

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقَفَاتُ لِعَامِ دِرَاسِيِّ جَدِيدٍ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ذِي الْفَضْلِ وَالْأَلَاءِ، رَفَعَ مَنَارَةَ الْعِلْمِ وَأَغْلَى شَانَ الْعُلَمَاءِ، وَأَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَمْرَ بِتَرْبِيَةِ النَّشَءِ وَالْأَجْيَالِ، وَحَثَّ عَلَى إِكْسَابِهِمُ الْقِيمَ وَالْأَخْلَاقَ وَصَالِحَ الْأَعْمَالِ، وَأَشْهَدَ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، بَعْثَةُ اللَّهِ مُعْلِمًا، وَلِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ مُتَمِّمًا، وَعَلَى الْهِ وَصَاحِبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنْ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَاسْتَعِينُوا بِهِ فِي كُلِّ أُمُورِكُمْ، يُسَدِّدُ رَأْيَكُمْ، وَيُوفِّقُ سَعِيْكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَرْءَ لَنْ يَقُوَى عَلَى الْإِرْتِقاءِ بِحَالِهِ، وَالْإِتْيَانِ بِمَا يَضْمِنُ لَهُ الْفَوْزُ فِي مَالِهِ، إِلَّا بِنُورٍ مِنَ الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، وَحَظٌّ وَافِرٌ مِنَ الْإِدْرَاكِ وَالْفَهْمِ، وَلَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَمْرَ اللَّهِ صَفْوَتُهُ مِنْ رُسُلِهِ وَأَنْبِيائِهِ، وَخِيرَةُ عِبَادِهِ وَأُولَائِهِ، أَنْ يَعْمَدُوا إِلَى طَلَبِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ بِقُوَّةٍ وَنَشَاطٍ لَا يَعْتَرِيهِ كَسْلٌ، وَعَزِيزَةٌ وَقَادَةٌ لَا يَخْتَرِمُهَا مَلْ، «أَقْرَأْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَنَ مِنْ عَلَقٍ، أَقْرَأْ وَرَبِّكَ الْأَكْرَمَ، الَّذِي عَلَمَ بِالْقَلْمَنْ، عَلَمَ الْإِنْسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»^(١)، كَمَا رَغَبَ أُمَّتُهُ فِي الْجَدِّ وَالاجْتِهَادِ مِنْ أَجْلِ تَحْصِيلِ الْمَعْرِفَةِ النَّافِعَةِ، وَمَا أَجْمَلَ أَنْ نُوَجِّهَ أَبْنَاءَنَا لِذَلِكَ وَنَحْنُ نُعايشُ مَعَهُمْ إِشْرَاقَةَ عَامِ دِرَاسِيِّ جَدِيدٍ، أَلَا فَاجْعَلُوا مِنْ عَامِكُمُ الْجَدِيدِ رُقْيَا وَتَتْمِيَةً بِتَحْصِيلِ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُفَيْدِ.

عِبَادُ اللَّهِ:

إِذَا كَانَ الْمَطْلَبُ عَظِيمًا، وَشَانُهُ رَفِيعًا؛ فَلَا بُدَّ أَنْ تَجْتَمِعَ عَلَيْهِ الْجُهُودُ، وَيَتَعَاوَنَ فِي تَحْقيقِ الْمُخْتَصُونَ، وَكَذَا هِيَ التَّرْبِيَةُ، بِحَاجَةٍ إِلَى اتْحَادِ كُلِّ أَرْكَانِهَا، تَسِيرُ بِهَا فِي خَطٍّ مُتَوَازٍ حَتَّى تَبْلُغَ شَطَّ الْأَمَانِ، فَالْإِنْسَانُ يُولَدُ عَلَى هَذِهِ الْبَسِيْطَةِ كَالصَّفَحةِ الْبَيْضَاءِ، تَتَنَظَّرُ مَنْ يَخْطُ عَلَى جَبَاتِهَا الْمَعَانِي السَّامِيَّةَ، وَيُرْسِدُهَا لِلْأَخْلَاقِ الرَّاقِيَّةِ، وَأَوْلُ الْمَعْنَيَّينِ بِذَلِكَ

الأَبْوَانِ، فَهُمَا الْمَحْضِنُ الْأَوَّلُ لِلطَّفْلِ، إِذْ يَتَرَبَّى فِي حِجْرِيهِمَا، وَيَنْشَأُ عَلَى أَخْلَاقِهِمَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَاونَا مِنْ أَجْلِ تَرْبِيَةِ صَالِحَةٍ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْرِ وَالنَّقْوَى وَلَا نَعَاوُنَا عَلَى الْإِلَاثِ وَالْعَدْوَنِ﴾^(١)، فَإِذَا لَمْ يَتَعَاونَ الأَبْوَانِ عَلَى تَرْبِيَةِ الْأَوْلَادِ، وَصَارَا مَشْغُولِينِ بِأَعْمَالِهِمَا الْخَاصَّةِ، أَوْ تَنَحَّى أَحَدُهُمَا جَانِبًا وَوَكَلَ كَامِلَ الْمُهِمَّةَ لِلآخرِ، ظَنَّا مِنْهُ أَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهِ؛ فَلَرَبِّمَا ضَاعَتِ الدُّرِّيَّةُ، وَسَاءَتْ نَفْسِيَّاتِهِمْ، وَفَسَدَتْ أَخْلَاقِهِمْ، وَفِي هَذَا مِنَ الْإِثْمِ وَالْجِنَاحِ عَلَى الْمُجَتَمِعِ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: ((كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ)). إِنَّ مِنَ الْخَطَايَا الْبَيِّنِ أَنْ يُصْبِحَ هُمْ بَعْضُ النَّاسِ كَثْرَةَ النَّسْلِ دُونَ بَذْلِ أَيِّ مَجْهُودٍ فِي تَقْوِيمِهِ وَتَهْذِيبِهِ، وَتَرْبِيَتِهِ وَتَأْدِيبِهِ، فَالنَّسْلُ الْفَارِغُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الرَّشِيدَةِ وَالصَّفَاتِ الْحَمِيدَةِ؛ لَا تَسْعَدُ بِهِ أُمَّةٌ، وَلَا يَصْلَحُ أَنْ تُسَنَّ إِلَيْهِ مُهِمَّةٌ، لَيْسَ مِنَ الْمُفَيَّدِ أَنْ يَزْحِمَ الْمَرْءُ الْمُجَتَمِعَ بِأَوْلَادٍ حَبَلُهُمْ عَلَى غَارِبِهِمْ، يُهْدِرُونَ حُقُوقَ الْمُجَتَمِعِ مِنْ أَجْلِ الْحُصُولِ عَلَى مَأْرِبِهِمْ.

عِبَادُ اللَّهِ:

إِنَّ الْمَدْرَسَةَ هِيَ الْمَحْضِنُ الثَّانِي لِلتَّرْبِيَةِ، إِذْ تُكْمِلُ مَا بَدَأَهُ الْبَيْتُ، وَتَعَانِقُ جُهُودَهُ فِي التَّعْلِيمِ وَالتَّتَشِّيَّةِ، وَهُنَا يَأْتِي دَوْرُ الْمُعْلِمِينَ الْمُرَبِّينَ الَّذِينَ هُمْ أَمَانَةٌ عَلَى عُقُولِ أَبْنائِنَا، لِيَكُونُوْا قُدوَّةً لَهُمْ فِي الْجَوَانِبِ الْخَلَقِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ، فِيَّا أَيُّهَا الْمُعَلَّمُ الْمُبَارَكُ: لَا يَعْزُبُ عَنْ بَالِكَ وَأَنْتَ فِي مَيْدَانِ التَّعْلِيمِ وَالتَّرْبِيَةِ أَنَّ التَّعْلِيمَ قُرْبَةٌ وَعِبَادَةٌ؛ فَأَخْلِصْ لِلَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَمْسِكْ - يَا رَعَاكَ اللَّهُ - بِأَخْلَاقِ هَذِهِ الْمُهِمَّةِ الْعَظِيمَةِ، وَاسْأَلْ رَبَّكَ التَّوْفِيقَ لِإِعْدَادِ جِيلٍ نَاجِحٍ وَنَشِئٍ صَالِحٍ، فَبُورِكَتْ جُهُودُ الْمُعْلِمِينَ، وَسُدِّدَتْ أَقْوَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ، وَلَا حَرَمَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ بَذْلِهِمْ وَعَطَائِهِمْ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَرَفَعُ اللَّهُ أَلَّذِينَ أَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ حَمِيرٌ﴾^(٢). أَمَّا أَبْناؤُنَا طَلَبَةُ الْعِلْمِ فَلَهُمْ مِنَ الْثَوَابِ وَالْفَضْلِ بِقَدْرٍ

(١) سورة المائدَة / ٢ .

(٢) سورة المجادلة / ١١ .

حرِصَّهُمْ وَإِقْبَالِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ وَاسْتِقَامَتِهِمْ، وَدَوْرِهِمُ الْعَظِيمُ فِي نَهْضَةِ وَطَنِهِمْ، وَحَسْبُهُمْ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يُلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا لِمَا يَطْلُبُ)), أَلَا وَإِنَّ مَنْ وَاجَبَ طَالِبَ الْعِلْمِ احْتِزَامَ مُعْلِمِهِ، وَالْقِيَامَ بِحَقِّهِ، وَالتَّوَاضُعَ لَهُ، فَهَذَا مِنْ أَبْوَابِ الْفَلَاحِ، وَأَسْبَابِ النِّجَاحِ.

فَانْقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَقُومُوا بِمَا أَوْجَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فِي أُولَادِكُمْ، مِنْ مُتَابِعَةِ تَعْلِيمِهِمْ وَالْجُلوْسِ إِلَيْهِمْ، وَإِعْانَتِهِمْ فِي مُذَاكِرَةِ دُرُوسِهِمْ، وَتَذَكَّرُوا وَأَنْتُمْ تُزَوِّدُونَهُمْ إِلَى الْمَدَارِسِ زَادًا حِسْبًا أَنَّ عَلَيْكُمْ أَيْضًا أَنْ تُزَوِّدُوهُمْ زَادًا مَعْنَوًّا، بِتَوْجِيهِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ، وَدَعْوَتِهِمْ إِلَى الْبَرِّ، لِيَشْبُوَا عَلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَجَمِيلِ الصِّفَاتِ.
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبُ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ.

*** * *** ***

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَاهِبِ النِّعَمِ، وَبَارِئِ النَّسَمِ، خَالِقِ الْلَّوْحِ وَالْقَلْمَ، وَنَشْهُدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، شَرَعَ لَنَا تَرْبِيَةَ الْأَوْلَادِ عَلَى الْخُلُقِ وَالدِّينِ، وَجَعَلَ فِي صَلَاحِهِمْ رَاحَةَ الْبَالِ وَقُرْةَ الْعَيْنِ، وَنَشْهُدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَحْبَيْنَا مُحَمَّدًا عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، الْمُعْلَمُ الْأَوَّلُ وَالْمُرْبِّي الْأَكْمَلُ، ﷺ وَعَلَى الْهِ وَصَاحِبِهِ، وَعَلَى كُلِّ مَنِ اقْتَنَى أَثْرَهُ وَتَرَسَّمَ خُطَاهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.
أَمَّا بَعْدُ: فِيَّا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ:

لَقَدْ كَانَ الْمُصْنُطَفَى ﷺ خَيْرًا مُعْلِمًا وَمُوجِهًّا عَرَفَهُ التَّارِيخُ، فَقَدْ بَيَّنَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَسْؤُلٌ عَنْ وَقْتِهِ فِيمَا اسْتَغْلَهُ، وَمَسْؤُلٌ عَنْ طَاقَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ أَيْنَ أَنْفَقَهَا، إِلَّا أَنَّ حَالَ بَعْضِ الْطَّلَبَةِ هُوَ تَضَيِّعُ تِلْكَ الطَّاقَاتِ، فَتَرَى طَائِفَةً مِنْهُمْ لَا يُلْقُونَ لِلْوَقْتِ بِالَا، وَلَا لِلْعُمُرِ اهْتِمَامًا، فَتَضَيِّعُ الطَّاقَاتُ وَالْمَوَاهِبُ فِي طَاحُونَةِ الْأَيَّامِ، وَرُبَّمَا رَأَيْتَ أَحَدَهُمْ يَتَوَقَّدُ نَشَاطًا لِكِنَّهُ يُمْضِي السَّاعَاتِ الطُّوَالَ فِيمَا لَا يُفِيدُ مِنَ الْجَلَسَاتِ وَالْقِرَاءَاتِ، مُنْحِنِيًّا عَلَى شَاشَةِ الْهَاتِفِ أوِّ

الحاسوب ونحوها، فضّلت طاقات هؤلاء من حيث لا يشعرون، وكان بإمكانهم أن يكونوا من يُسْهِمُون في بناء مجتمعاتهم، ولذلك كان من واجب الجميع تربية الأبناء على استغلال الأوقات وتنظيمها، والنظر بعين الخير إلى موهاب الأبناء وطاقاتهم؛ لنساعدهم على اغتنامها وتنميتها، ولنهيء للموهوب الجو المناسب لإبداعه.

فأتقوا الله - عباد الله -، وأغرسوا حب العلم في نفوس أبنائكم؛ حتى يقبلوا عليه بصدق وإخلاص، وذكروهم بسيرة السابقين من أهل العلم والمعرفة؛ كم تركوا من إنجازات، وآثار شاهدة لهم إلى يومنا هذا، لقد أنجزوا في مدةٍ يسيرةً وأعماق قصيرةً ما عجز آخرون عن فعله عبر حقب وعقود، وما ذاك إلا لأنهم استغلوا وقتهم وأخرجوها طاقاتهم. واسعوا - إخوة الإيمان - إلى بناء أنفسكم وتنمية ثقافتكم، ول يكن لكم دور في صناعة العلوم المختلفة، فبذلك تسع أسركم ومجتمعاتكم، ويرقى وطنكم، واجعلوا من دعائكم: «وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا»^(١).

هذا وصلوا وسلموا على إمام المرسلين، وقائد الغر المحبلين، فقد أمركم الله تعالى بالصلاحة والسلام عليه في محكم كتابه حيث قال عز قائلًا عليهما: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَئِكَتَهُ يُصَلِّوْنَ عَلَى النَّبِيِّ يَتَأَمَّلُهَا الَّذِينَ أَمْنَوْا صَلَوَاعَلَيْهِ وَسَلَمُوا تَسْلِيمًا»^(٢).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسِّلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَسِّلَّمْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمَيْنِ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَحِيدٌ، وَارْضِ اللَّهُمَّ عَنْ خُلْفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ إِلَيْ يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنِّا مَعَهُمْ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمِيعَنَا هَذَا جَمِيعًا مَرْحُومًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُومًا، وَلَا تَدْعُ

(١) سورة طه / ١١٤ .

(٢) سورة الأحزاب / ٥٦ .

فِينَا وَلَا مَعَنَا شَقِّيًّا وَلَا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَوَحْدَ اللَّهُمَّ صُفُوفُهُمْ، وَأَجْمَعُ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الْحَقِّ، وَأَكْسِرُ
شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَأَكْتُبِ السَّلَامَ وَالْأَمْنَ لِعِبَادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَسْتَجِيرُ،
وَبِرَحْمَتِكَ نَسْتَغْيِثُ أَلَا تَكِلْنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ، وَأَصْلِحْ لَنَا
شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصْلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزْ سُلْطَانَنَا وَأَيْدِهِ بِالْحَقِّ وَأَيْدِيهِ بِالْحَقِّ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ،
اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعْمَتَكَ، وَأَيْدِهِ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوْفِيقِكَ، وَاحْفَظْهُ بِعَيْنِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزَلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الْأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي
ثِمَارِنَا وَزَرْوُعِنَا وَكُلْ أَرْزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتَنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَفِنَا عَذَابُ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ
سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَاتِ وَيَنْهَا عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنْكَرِ وَالْمُنْبَغِي يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

